موضوعات الرثاء في العصر العباسي الأول

دراسة أدبية نقدية

Topics of Lamentation in the First Abbasid Era Criticism Analytical Study

د. صلاح التوم إبراهيم محمد
باحث بمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

د. ميرغني حمد ميرغني حمد
أستاذ مشارك – كلية التربية – جامعة كسلا

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على موضوعات الرثاء في العصر العباسي الأول واتجاهاته، وبيان الموضوعات التي استجدت في فن الرثاء في هذا العصر. تأتي أهمية الدراسة في كونها تسلط الضوء على أبرزاتجاهات الرثاء في العصر العباسي الأول، وكشف موضوعات فن الرثاء التي ظهرت في العصر العباسي الأول ولم تكن معروفة في العصور السابقة. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات، من أبرز النتائج: فن الرثاء هو من أبرز الفنون الشعرية وأكثرها صدقًا وغناء بالتجربة الإنسانية، وتصويرًا لخفي المشاعر- سار شعر الرثاء في العصر العباسي الأول كسابقة من العصور، وظهرت فيه كثير من موضوعات الرثاء التي لم يعرفها شعر الرثاء في العصور السابقة، وكانت موضوعات جديدة مبتكرة، كالرثاء السياسي ورثاء المدن والدول ورثاء الحيوانات والطيور وغيرها من الموضوعات الجديدة المبتكرة. أوصت الدراسة بالاهتمام بدراسة الشعر العباسي والتنقيب فيه، لما يحمله من جديد المعاني والموضوعات.

الكلمات المفتاحية: العصر العباسي الأول، الرثاء، فنون الشعر.

Abstract:

The study aimed to identify the topics of lamentation in the first Abbasid era, the trends in the topic of lamentation, and to explain the topics of lamentation that were new in this era. The importance of the study lies in the fact that it sheds light on the most prominent trends of lamentation in the first Abbasid era, and reveals the topics of the art of lamentation that appeared in the first Abbasid era and were not known in previous eras. The study followed the descriptive analytical approach. The study reached a number of results and recommendations. Among the most prominent results: The art of lamentation is one of the most prominent poetic

arts, the most sincere and richest in the human experience, and a depiction of hidden feelings. Lamentation poetry followed in the first Abbasid era as a precedent for the ages, and many topics of lamentation appeared in it that were not known to lamentation poetry in previous eras, and were new topics. Innovative, like political pathosLamentations for cities and states, laments for animals and birds, and other new and innovative topics. The study recommended paying attention to studying Abbasid poetry and exploring it because it carries new meanings and themes.

Keywords: The first Abbasid era, Lamentations, Arts of Poetry.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وأفضل خلق الله أجمعين الرحمة المهداة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، أمّا بعد:

فإنّ العصرالعباسيّ الأول يُعد من أزهى عصور الحضارة العربيّة، وأكثرها تألّقاً، فقد نشأ فيه أجيال من الشعراء والكتّاب في مختلف ضروب الأدب، وقد أسهموا في التعبير عن روح العصر وثقافته، وحاولوا بنتاجهم الشعريّ والنثريّ أن ينفذوا من أعماق هذه الحضارة. وقد شهد مطلع العصر العباسي نبوغ عدد كبير من الشعراء المبدعين الذين فاضت قرائحهم بشعر جميل معبر، حلق في أجواء عالية؛ وحرص شعراء العصر العباسي الأول على أن يدور شعرهم في فلك الموضوعات الشعرية القديمة، إلا أنهم اتجهوا في تجديد أغراض الشعر القديمة، ومن الأغراض التي تجدّدت، وطرأ عليها بعض التغيير "فن الرثاء"، الذي يُعد أحد فنون الشعر البارزة في العصر العباسي الأول، بل إنه ليتصدرها من حيث صدق التجربة وحرارة التعبير ودقة التصوير؛ وقد ارتقى هذا الفن الشعري في العصر العباسي الأول، واكتسب غنى وعمقاً، بفضل شعراء كبار أمثال أبي تمام الذي قيل عنه «مداحة نواحة». وقد انتشر الرثاء في شعر شعراء العصر العباسي الأول انتشاراً واسعاً واحتل مرتبة متقدمة بين أغراض الشعر العربي، حتى غدت بعض قصائدهم الرثائية مضرب الأمثال وسار بها الركبان.

وفي هذه الدراسة يحاول الباحثان الوقوف عند فن الرثاء واتجاهاته لدى شعراء العصر العباسي الأول وأبرز موضوعاته وما طرأ عليها من مستجدات. وقد دفعنا إلى هذه الدراسة الرغبة الصادقة للوقوف عند أبرز الفنون الشعرية وأكثرها صدقًا وغناء بالتجربة الإِنسانية، وتصويرًا لخفي المشاعر لدى

شعراء العصر العباسي الأول. فإن وفقنا في هذا المسعي كان ذلك توفيق من الله تعالى، وإن كان غير ذلك فحسب فضل الاجتهاد ونيّة المقصد.

أسئلة البحث:

١- ما مفهوم الرثاء في اللغة والاصطلاح؟
٢- ما أنواع المراثي في الأدب العربي؟
٣- ما أبرز اتجاهات الرثاء وخصائصه في العصر العباسي الأول؟
٤- هل كان الرثاء فى العصر العباسى الأول شأنه شأن الرثاء في العصور السابقة ؟ أم أنه أضاف الجديد واتجه إلى وجهات أخرى لم يتجه إليها شعر الرثاء قبل العصر العباسي الأول ؟

أهداف البحث:

١- التعرف على مفهوم الرثاء في اللغة والاصطلاح.
٢- التعرف على أنواع الرثاء في الأدب العربي.
٣- كشف اتجاهات فن الرثاء وخصائصه في العصر العباسي الأول.
٤- الوقوف على التطورالذي حدث في شعر الرثاء في العصر العباسي الأول.

أهمية البحث:

١- يكشف البحث تطور فن الرثاء في العصر العباسي الأول .
٢- تسليط الضوء على أبرزاتجاهات الرثاء في العصر العباسي الأول.
٣- التعرف على عيون قصائد الرثاء التي فاضت بها قرائح الشعراء في العصر العباسي الأول.
٤- تشجيع الباحثين للتنقيب في شعر العصر العباسي الأول وشعرائه الذين برعوا في تجديد موضوعات الشعر العربي براعة فائقة تلفت النظر.

منهج البحث:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

هيكل البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، جاء في التمهيد مفهوم الرثاء في اللغة والاصطلاح وأنواعه. الفصل الأول: الرثاء الاجتماعي في العصر العباسي الأول، المبحث

الثاني: الرثاء السياسي في العصر العباسي الأول. الفصل الثالث: رثاء المدن والدول والحيوانات. ثم خاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

مفهوم الرثاء وأنواعه

الرثاء في اللغة :

جاء في لسان العرب مادة رَثَا، الرَّثاء :هو البُكاء على الميت ومدحه، يُقال: رثى فلان فلاناً يرثيه رثياً ومرثيه، إذا بكاه بعد موته (ابن منظور، ١٩٥٥، مادة رثا). وفي مختار الصحاح، رَثَيْتُ الميت: إذا بكيته وعدَدْت محاسنه وكذا إذا نَظَمْتَ شعرا (الرازي، ١٩٨٦، مادة رثا). وجاء في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري: "المرثية مديح الميت، والفرق بينها وبين المديح أنْ تقول: كان كذا وكذا، وتقول في المديح: هو كذا وأنت كذا؛ وينبغي أنْ تتوخى في المرثية ما تتوخَّ في المديح، إلا أنك إذا أردت أنْ تذكر الميّت بالجود والشجاعة تقول: مات الجود، وهلكت الشجاعة ولا تقول: جواداً وشجاعاً، فإنّ ذلك بارد غير مستحسن (أبوهلال، ٢٠٠٦، ١٢١).

نلاحظ أن مادة "رثا" تدور حول معنى الحزن والبكاء والندب والتوجع. وقد ورد الفعل رثا مهموزاً فيقال "رثأ" وغير مهموز فيقال: "رثا"، ومعناهما واحد فرثأت الرجل رثأٌ: مدحته بعد موته، فالهمز لغة فى المادة والمعنى واحد لا يختلف (ابن منظور، ١٩٥٥، ١٥٨٢).

الرثاء اصطلاحاً:

الرثاء في الاصطلاح يعنى التفجع على الميت والتلهف عليه وتعداد مناقبة واستعظام المصيبة فيه، وعرفه الهاشمي في كتابه جواهر الأدب فقال: "هو تعداد مناقب الميت وإظهار التفجع والتلهف عليه، واستعظام المصيبة فيه" (الهاشمي، ١٣٣٨هـ، ٣٨١). وعرفه الدكتور شوقي ضيف بأنه: "بكاء يتعمق في القدم الموت منذ وجد الإنسان ووجد أمامه هذا المصير المحزن: مصير الموت والفناء الذى لابد أن يصير إليه فيصبح أثراً بعد عين وكأن لم يكن شيئاً مذكورا (ضيف، ١٩٥٥، ٥). ويرى قدامة بن جعفر أنه لا فرق بين الرثاء والمدح إلا فى اللفظ فقط حيث يقول: "إنه ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك مثل: "كان" و "تولى" وقضى نحبه وما أشبه ذلك. وهذا ليس يزيد فى المعنى ولا ينقض منه، لأن تأبين الميت إنما هو يمثل ماكان يمدح به في حياته، وقد يفعل في التأبين بشي ينفصل به لفظه عن لفظ المدح بغير "كان" وماجرى مجراها، وهوأن يكون الحى وصف مثلاً بالجود فلا يقال كان جواداً ولكن بأن يقال: ذهب الجود، أو فمن للجود بعده، ومثل: تولى الجود (قدامة، ٢٠٠٦، ١٠٠). وذهب ابن رشيق القيروانى مذهب قدامة حيث قال: "وليس بين الرثاء

والمدح فرق إلا أنه يخلط بالرثا شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل : كان، أو عدمنا به كيت وكيت وما شاكل هذا ليعلم أنه ميت (ابن رشيق، ١٩٧٢، ١٤٧).

ويكاد يتفق الرثاء بمعناه اللغوى مع الرثاء بمعناه الاصطلاحي حيث الإشارة إلى معانى الوجع والحزن والألم، إلى جانب ما تشير إليه المعانى الأخرى من تعداد المحاسن والمناقب والتأسى والتعزية، فهو إذن تعداد خصال الميت والتفجع عليه بما كان يتصف به من صفات كالكرم، والشجاعة، والعفة، والعدل والعقل، وإظهار الحزن، واللوعة، والحسرة على فقدانه شعراً كان أم نثراً. ويستعمل الرثاء بحتمية الموت كما يقول طرفة بن العبد في فلسفته الشخصية التي تصطبغ بصبغة اليأس:

لَعَمرُكَ إنَّ المَوتَ مَا أخطأ الفَتَى لَكا لطّوَلِ المُرخَى وثنياهُ باليَدِ

(الزوزني، ٢٠٠٦، ٩٠)

أنواع الرثاء:

ينقسم الرثاء إلى ألوان ثلاثة: ندب وتأبين وتعزية . أما الندب: فهو النواح والبكاء على الميت بالعبارات المشجبة والألفاظ المحزنة التي تصدع القلوب القاسية وتذيب العيون الجامدة؛ إذ يولول النائحون والباكون ويصيحون ويعولون مسرفين فى النحيب والنشيج وسكب الدموع (ضيف، ١٩٥٥، ١٢). يقول الدكتور عبد النبي: "الندب هو أقوى ألوان الرثاء تعبيراً عن الحزن والألم، ولا يكون غالباً إلا فى فقد عزيز يتحول الشاعر بعد فقده إلى مصاب بضربة قاسية أذهلت عقله وفقدته لبه ويشعر بلطمة مروعة صوبت إلى قلبه، ويكون هذا غالباً حينما يفقد الشاعر ابنه أو أباه أو أمه أو زوجته أو أخاه أو غيرهم من أهله وأقاربه، فيروح يبكيهم بكاء حاراً بدموع غزار معبراً عن حرقة قلبه وعظيم مصيبته فى هذا العزيز الفقيد (أبوعلي، ١٩٩٠، ١٤). فالشاعر في رثاء الندب يئن ويتوجع ويتفجع لفقد عزيز لديه ويبكى بكاء حاراً بدموع، غزار؛ يبكي ويلحن بكاء على قيثارة نظمه تلحيناً حزيناً كله آهات وحسرات ووجع وزفرات، ويتجلى هذا اللون غالباً في رثاء الأقارب والأهل حينما يعصف بهم الموت أو في رثاء من ينزلون من الشاعر منزلة الأهل والأقارب كرثاء الشيعة لأئمتهم ونحو ذلك (أبوعلي، ١٩٩٠، ١٥).

أما التأبين: فهو أقرب إلى المدح منه إلى الحزن والبكاء والنواح، فهو يعد ضرباً من التعاطف الإنسانى والتعاون الاجتماعي، حيث يأخذ المؤبن الراثى فى سرد فضائل الميت، وتعداد مناقبة وذكر محاسنه وتسجيل فضائله، فالشاعر فيه لا يعبر عن حزنه هو وإنما يعبر عن حزن الجماعة ومافقدته في هذا

الفرد المهم من أفرادها (ضيف، ١٩٥٥، ٦). فالتأبين إذن ليس نواحاً ولابكاءً كالندب بل هو تعداد لفضائل الميت وذكر لمحاسنه فى ظل علاقة اجتماعية وجماعية.

واللون الثالث من ألوان الرثاء: التعزية. وهى تختلف عن الندب والتأبين فلاهي نواح وبكاء ولاهي تعداد فضائل وذكر محاسن ومناقب، بل هي تعبير عن حزن لفقد ميت ينفذ الشاعر من حادثة الموت التي هو بصددها إلى التفكير العميق فى حقيقة الموت والفناء، وأحياناً ينتهى به التفكير في حقيقة الموت إلى الغوص وراء معانٍ فلسفية عميقة قد تشتمل الوجود وحقيقة الوجود والعدم والحياة والخلق وما إلى ذلك وهكذا تنوع فن الرثاء إلى أنواع ثلاثة : الندب والتأبين والتعزية (أبوعلي، ١٩٩٠، ١٦).

والجدير بالذكر أن هذه الأنواع الثلاثة للرثاء، قد تأتى كل منها في قصيدة مستقلة بعينها، وقد يجتمع الندب والتأبين فى قصيدة واحدة، وهذا هو ما عليه معظم الرثاء. وقد يجتمع الندب والتعزية أو التأبين والتعزية، وأحيانا تشتمل القصيدة الواحدة على ألوان الرثاء الثلاثة.

المبحث الأول: الرثاء الاجتماعي في العصر العباسي الأول

الرثاء فن شعري قديم يعبرّ عن اللوعة والحسرة عند الشاعر على من يفقده. وبما أن الموت واحد والانفعال أمامه واحد، فإن قصائد الرثاء جاءت متشابهة في كل العصور الأدبية، باستثناء دخول الفلسفة عليها في العصورالمتأخرة. إلا أنّ شعراء العصر العباسي الأول نشطوا في هذا اللون الشعري فن الرثاء نشاطاً واسعاً، وبجانب الرثاء الاجتماعي الذي يتمثل في رثاء الأهل والأقربين، ظهرت ضروب كثيرة في فن الرثاء لم تكن معروفة قبل هذا العصر، كظهور الرثاء السياسي والمذهبي ورثاء المدن والحيوانات وغيرها.

والرثاء الاجتماعي، هو ذلك اللون من الرثاء الذي تحكمه العلاقات الاجتماعية بعيداً عن شؤون السياسة والجهة الرسمية للدولة، كرثاء الأهل (الآباء - الأبناء - الزوجات)، ورثاء الأصدقاء ونحو ذلك. وإن كانت طبيعة الرثاء تجعله اجتماعياً مهما يكن متصلاً بفرد من الأفراد لأنه يتحدث عن الحياة والموت وفراق الأبناء والأهل والأصدقاء والأعلام النابهين وكل ذلك يشترك فيه أفراد المجتمع (ضيف، ١٩٥٥، ١١٠).

يحتل الرثاء الاجتماعى مكانة عظيمة وكبيرة فى شعر الرثاء فى العصر العباسي الأول، نظراً للترابط الوثيق بين أفراد المجتمع الإسلامى ونظراً للصحبة والصداقة التى كانت تربط بين الشعراء وكثير من

أبناء الأمة العباسية، ونظراً للعلاقة الوثيقة بين الشعراء وأهلهم وذويهم ونظراً لما طرأ على المجتمع من تقدم حضاري وثقافي .

أولاً- رثاء الأبناء

يعد رثاء الأبناء من أهم موضوعات الرثاء الاجتماعي وأبرز موضوع فيه كماً وكيفاً، حيث يحتل أكثر الصفحات المحزونة في العصر العباسي الأول من رثاء الأهل والأقارب جميعاً، فضلاً عن هذه الحرقة ولهيب الحزن ونيران الألم التي تفوح بها قصائد الرثاء فى الأبناء؛ هذه الحرقة وهذا اللهيب اللذان ينبعان من قلب مكلوم حزين تغشاه الحسرة والفجيعة على فراق عضو منه وفضلاً عن صدق العاطفة الموغلة في صدقها حيث تنبع الأشعار في رثاء الأبناء من بين طيات قلب الشاعر معبرة عن أحاسيس الشاعر بكل الصدق الذى لا يشوبه أدنى شك، مِنْ ذلك مرثية ابن الرومي في ابنه محمد، التي مطلعها (ابن الرومي، ٢٠٠١، ٢٢١):

بكاؤكُما يشْفي وإن كان لا يُجْدي فجُودا فقد أوْدَى نَظيركُمُا عندي

بُنَيَّ الذي أهْدَتْهُ كَفَّايَ للثَّرَى فَيَا عِزَّةَ المُهْدَى ويا حَسرْةَ المُهدِي

ألا قاتَل اللَّهُ المنايا ورَمْيَها من القَوْمِ حَبَّات القُلوب على عَمْدِ

تَوَخَّى حِمَامُ الموتِ أوْسَطَ صبْيَتي فلله كيفَ اخْتار وَاسطَةَ العِقْدِ

على حينِ شمْتُ الخيرُ من لَمَحَاتِه وآنَسْتُ من أفْعاله آيةَ الرُّشدِ

طَوَاهُ الرَّدَى عنِّي فأضحَى مَزَارُهُ بعيداً على قُرْب قريباً على بُعْدِ

لقد أنْجَزَتْ فيه المنايا وعيدَها وأخْلَفَتِ الآمالُ ما كان من وعْدِ

تعدُّ قصيدة ابن الرومي من روائع شعر الرثاء في الأبناء، كما تعدُّ واسطةَ العقدِ بين قصائد الرثاء في الشعر العربي، فهي قَبَسٌ من النار التي تَعتلج في قلب أبٍ فقَد صغيره وهو في عمر الزهور، بعد أن كان يبني الآمال حول مستقبله، ويتخيَّله وقد كبر وملأ الدنيا عليه سعادةً ورضًا، فإذا بيد القدر تَختطفه منه، أو - كما يقول هو - "تَغتصبه"، فالشاعر يعبرِّ عما يَصطليه من لهيب تعبيرًا تَشُمُّ منه رائحةُ الضَّعف البشري، ومأساة الإنسان حين يقف عاجزًا مكتوفَ الأيدي أمام ضربةً القدر الساحقة، وابن الرومي يعترف بصراحة أنه ما كان ليرَضى بفِراق ابنه، حتى لو أُعطِيَ في مقابله الخلودَ في جنات النعيم، فيقول (ابن الرومي، ٢٠٠١، ٢٢١):

وما سرَّني أن بِعْتُه بثوابِه ولو أنَّه التخليدُ في جَنةِ الخُلْدِ

وقد فسرّ بعضهم أن هذا القول تمرد على قضاء الله وقدره، إلا أننا إذا تأملنا رثاءه ومدى تفجعه قد نسند قوله إلى الضَعف البشري الطبيعي الذي ينتاب كل من عظمت مصيبته، ولا نظن عفو الله يضيق عنه.

ورثاء الأبناء موضوع شعرى تناوله معظم شعراء العصر العباسي الأول إن لم يكونوا كلهم تناولاً رائعاً مبرزين عظم الفجيعة وآهات الحزن والحسرات فى تصوير رائع وصور بارعة مع تباين بينهم فى عظم الروعة والبراعة، وسعّر موت الأبناء قلوب الشعراء فبكوهم بدموع غزار وأنوا أنيناً حاراً من قلوب جريحة كوتها نار الفراق الملتهبة ومضوا يتأوهون وجذوات الحزن الممض تلذع أفئدتهم لذعه (أبوعلي، ١٩٩٠، ١٩)، واشتهر كثير من شعراء العصر في هذا الرثاء وتزخر بها دواوينهم. فمن رثاء الأبناء قول بشار يرثى محمداً ابنه ويبكيه بكاءً حاراً فيقول (ابن برد،٢٠٠٧، ٢/ ١٧):

أجارَتَنا لا تَجزَعي وَأنيبي أتاني مِنَ المَوتِ المُطِلِّ نَصيبي

بُنَيِّي عَلى قَلبي وَعَيني كَأَنَّهُ ثَوى رَهنَ أحجارٍ وَجارَ قَليبِ

كَأَنّي غَريبٌ بَعدَ مَوتِ مُحَمَّدٍ وَما المَوتُ فينا بَعدَهُ بِغَريبِ

صَبَرتُ عَلى خَيرِ الفُتُوِّ رُزِئتُهُ وَلَو لا اِتِّقاءُ اللَهِ طالَ نَحيبي

لَعَمري لَقَد دافَعتُ مَوتَ مُحَمَّدٍ لَو أَنَّ المَنايا تَرعَوي لِطَبيبِ

وَما جَزَعي مِن زائِلٍ عَمَّ فَجعُهُ وَمِن وِردِ آباري وَقَصدِ شَعيبي

فَأَصبَحتُ أُبدي لِلعُيونِ تَجَلُّداً وَيـا لَكَ مِن قَلبٍ عَلَيهِ كَئيبِ

إن الأبيات عصارة نفس حزينة فقدت عضواً من أعضائها فيها البكاء والعويل والآهات والآلام وفيها الأنين والتوجع والحسرة والتفجع وفيها العاطفة الصادقة: عاطفة الحزن والحب، الحزن لفقد ابنه والحب الخالص له. ومع أن بشارا عاش حياته في اللهو والمجون ولم تكن نفسه مطبوعة على الحزن، إلا أننا نرى أن موت ابنه قد حرك قلبه وعقله ونفسه وهزهم هزا.

و ممن رثوا بناتهم فى هذا العصر الشاعر العباسي المشهور عبد الله بن المعتز حيث يقول في رثائها (ابن المعتز، ١٩٩٨، ٢/ ٣٤٣):

وغَرث مِن الأحبابِ غيّبت في الثّرى وأسقته أجْفَاني بِسحٍ وقَاطر

فأثمرهما لا يبيد وحَـــــسرْة لقلبى يجنيها بأيدى الخواطر

أيا شعبةَ النفسِ التي ليسَ غيرَها سَقطت فقد أفردت عُودى لكاسر

وقالت جارية ديك الجن ترثي ولدها منه وتبكيه:

بأبي نبذتُكَ بالعراءِ المُقفرِ وسترتُ وجهَك بالترابِ الأعفرِ

بأبِي بذلتُكَ بعد صونٍ للبلى ورجعتُ عنْكَ صبرتُ أو لَم أصبرِ

ولو كنتُ أقْدرُ أنْ أرَى أثرَ البلى لتركتُ وجهَكَ ضاحياً لم يُقْبرِ

(أبوعلي، ١٩٩٠، ٧٣)

لقد رثت ولدها الذي تفتديه بأبيها، وتصور دفنها لابنها حيث سترت وجهه بالتراب الأعفر، وقدمته بنفسها للقبروهي التي عاشت تصونه وتحفظه من كل سوء طوال حياته. والأمثلة كثيرة من رثاء الأبناء في هذا العصر.

وقالت كذلك تبكيه:

ذكرت الوليد وأيامه إذا الأرض من شخصه بلقع

فأقبلت أطلبه في السماء كما يبتغي أنفه الأجدع

أضاعك قومك فلينظروا إفادة مثل الذي ضيعوا

لو آن السيوف التي حدّها أصابك تعلم ما تصنع

(العفيفي، ١٩٩١، ٢/١٨٩)

رثاء الآباء والأمهات :

يعد رثاء الآباء من الموضوعات الرثائية القديمة التي عرفها الشعر العربي منذ العصر الجاهلى، وظل في العصر الإسلامي والأموى إلا أنه كان من الموضوعات المقلة التي لم تأخذ حقها كبقية الموضوعات الرثائية الأخرى مثل رثاء الأبناء والإخوة والأصدقاء، وظل رثاء الآباء على هذه الحالة المقلة في العصر العباسى الأول فلم يحتل رثاء الآباء حيزاً كبيراً من جملة شعر الرثاء الاجتماعي في العصر العباسي الأول، ولعل ذلك يرجع إلى أنّ موت الآباء دون أن يراهم الأبناء الشعراء، أو إلى أنّ موتهم قبل أن يكونوا شعراء قادرين على نظم القريض أو لأسباب أخرى غير ذلك (أبوعلي، ١٩٩٠، ٢٠). وعموماً إن شعر رثاء الآباء والأمهات أساسه الوفاء أو السجية، إذ يقضي الشاعر بقوله حقوقاً عليه، واستعظام المصيبة فيه، أو يرسل تعداداً لمآثر الأهل.

المهم أن شعر الرثاء فى العصر العباسي الأول احتوى بين طياته رثاء الآباء وبكائهم والتفجع عليهم وندبهم ندباً حاراً وتأبينهم وذكر فضائلهم ومناقبهم وشمائلهم وتصوير عظيم المصيبة والفجيعة التي حلت وتهم إلا أننا لم نجد هذه الحرقة وهذا الحزن الدفين والآهات الملتهبة التى تقطع الأحشاء والأكباد في رثاء الآباء والتي عهدناها في رثاء الأبناء، فقد جاء رثاء الآباء خافتاً بعض الشيء فى حرارته وعاطفته عن رثاء الأبناء. ولاضير في ذلك فالأبناء أغلى ما يملك الإنسان وأعز من في الوجود بالنسبة لآبائهم فضلاً عن أنهم يموتون وهم في أو قبل الشباب مما يجعل المصيبة أعظم من شعر رثاء الآباء. من ذلك قول الشاعر أبى محمد عبد الله بن يوسف يرثي أباه فيقول:

تَطاولَ فِي بَغدادَ لَيلى وَضَافنِى نزِيلاً جَوى بينْ الحَشَا والترّائبِ

أنَاخا عَلَىَ صَبرِي فخلىّ مَكانه لفقدِ أبٍ برّ جَزيل المِـــواهبِ

أبا جَعفر يَا خيرَ وائلٍ كلها إذا نزلتْ بالنّاسِ إحدي النّوائبِ

وَراحتْ أفَال الشّولِ غرثى تشكها شآمية ترمى الوجوه بحاصبِ

وحَاميهم أن صَبحتّهم مغيرة عليها المَنايا فِي صُدورِ الكتائبِ

(الصولى، ١٩٣٤، ٢٣٨)

ومن رثاء الآباء ماقاله إسحاق بن إبراهيم الموصلي يرثى أباه بقوله:

سَلامٌ علـى القَـبرِ الـذي لا يُجيبُنا ونحـــنُ نُحيِّـــي تُربَـــه ونخـــاطبه

سـتَبكيه أشـرافُ المُلـوك إذا رأوا مَحَـلَّ التَّصـابي قـد خلا منـه جانبُه

ويَبكِيـه أهـلُ الظَّـرفِ طُرّاً كما بكى عليـــهِ أميـــرُ المـؤمنينَ وحـاجبُه

ولمـا بـدا لـي اليأسُ مِنهُ وأنزفَت عُيـــونُ بَـــواكيه ومَلَّـــت نَـــوادبُه

وصـار شـفاءُ النَّفـس من بعض مابها إفاضـــةَ دمـــعٍ تَســـتَهِلُّ ســـواكبُه

جعلـــتُ علىعَينـــيَّ للصـــُبح عَـــرةً ولِليّـلِ أخـرى مـا بَـدَت لي كواكبُه

إذا المرءُ قاسى الدهرَ وابيضَ رأسُهُ وتُلِّـــمَ تثليـــم الأنـــاءِ جـــونبُه

(أبوعلي، ١٩٩٠، ٧٤)

وإذا كان شعرا ء العصر العباسي الأول قد بكوا آباءهم ورثوهم فإنهم مع ذلك بكوا أمهاتهم ورثوهن، إلا أن ذلك كان نادراً. فقليل من شعراء العصر من رثى أمه، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى قصور الأبناء في رثاء أمهاتهم تقليداً للعرب في الجاهلية الذين كانوا لا يؤثرون ذلك. ولا تبلغ مراثى الأمهات ما تبلغه مراثى الأبناء من حرارة التفجع واشتعال العاطفة ولم نجد هذه الحرقة التي تتقطع لها الأحشاء وتتمزق لها الأكباد (أبوعلي، ١٩٩٠، ٧٥) . وممن رثى أمه من شعراء العصر العباسي الأول الشاعر ابن الرومي حيث يقول في رثائها (ابن الرومي، ٢٠٠١، ٢/٤١٧):

رأيت طويل العمر مثل قصيره إذا كان مفضاء إلى غاية تؤم

تضعضعه الأوقات وهى بقاؤه وتغتاله الأوقات وهى لــه طعم

رثاء الأخوة:

يعد رثاء الإخوة من الموضوعات القديمة فى شعر الرثاء فى الأدب العربي منذ العصر الجاهلي، حيث راح الشعراء يندبون إخوتهم ويبكونهم بكاء حاراً موجعاً، بل إن رثاء الأبناء والأخوة يحتل الجزء الأكبر من رثاء الأهل والأقارب وأوجعه ألماً وحسرة وأغزره سفكاً للدموع والعبرات، وأفرطه نحيباً وشجواً ونواحاً وأصدقه عاطفة وأحزنه شعوراً وإحساساً .

فرثاء الإخوة لايقل توجعاً ولوعة ولهيباً ونيراناً موقدة في الأحشاء عن رثاء الأبناء وذلك لما للأخ من مكانة عظيمة عند أخيه فهو كعادة العرب ساعده الأيمن ومعينه على حوادث الدهر ومصائب الأيام فضلاً عن هذا الدم الواحد الذى يجري في عروق الأخ وإخوته وفضلاً عن النشأة معاً منذ الصغر في أسرة واحدة مع أب واحد وأم واحدة، وفضلاً عن العادات والتقاليد العربية الموروثة التي تنزل الأخ من أخيه منزلة عظيمة، وفضلاً عن المبادئ الإسلامية التى تعظم الأخوة وترفع من شأنها. يقول محمد بن أبى عينية بن المهلب بن أبي صفرة يرثى أخاه "داؤد" وقد مات في طريقه إليه :

أنائحة الحمام قفى فنوحى على داؤد رهنا في ضريح

لدى الأجيال من همذان راحت به الأيام للموت المريح

ولم يشهد جنازته البواكي فتبكيه بمـــــــنهل سفـــــوح

(ابن واصل الحموي، ١٤٧٦هـ، ٢/١٣٤)

ومن شعر رثاء الإخوة في العصر العباسي الأول مارثى به عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي أخاه سعيد بن عبد الرحيم حيث قال فيه يندبه ويبكيه:

فمَا أُمّ خشْفٍ أودَعتهُ قرارَة مِن الأرضِ وانسَاحتْ لترَعى وَتهجَعا

خليسٌ كلونِ الأيْهَقان ابن ليلةٍ أمـــــرَ قـُـــواه أنْ يَنوء فَـــــيركعا

(ابن المعتز، ١٩٦٨، ٢٢٢)

الخليس: الأحمر. الأيهقان: عشب ، وأمر قواه: أقوى قواه

وإذا كان كثير من شعراء العصر قد رثوا إخوتهم وبكوا عليهم فإن هناك بعض شاعرات العصر قد رثين إخوتهن وبكين عليهم بكاء حاراً مصورين عظيم المصيبة وهول الفجيعة التي حدثت لهن بموت إخوتهن، والأخت أكبر رزماً وأعظم مصيبة فى فقدها لأخيها نظراً لعاطفتها الرقيقة المرهفة ونظراً لما يمثله الأخ من مكانة كبيرة عند أخته فهو ساعدها الأيمن ومعينها وحاميها، فضلاً عن رباط الدم الذي يجمع بينهما والألفة والعشرة الطويلة التي ألفت بينهما منذ النشأة مع والديهما، والمرأة أكثر إذرافاً للدمع وأعظم حرقة وأشجى نحيباً وعويلاً من الرجل نظراً لفطرتها وطبيعة تكوينها، ولعل أروع أبيات قيلت من أخت في رثاء أخيها في العصر العباسي الأول مارثت به ليلى بنت طريف أخاها الوليد بن طريف؛ وهو رأس الخوارج وأشدهم بأساً وصولة أيام هارون الرشيد الذي أهمه أمره فوجه إليه يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، وقاتله حتى ظفر بالخوارج وأخذ رأس الوليد بن طريف (أبوعلي، ١٩٩٠، ٧٥)، فتقول ليلى في رثاء أخيها:

بتلّ نباتى رسمُ قبرٍ كأنّهُ على جبلٍ فوقَ الجبال منيفِ

تَضمّن جوداً حاتميّاً ونائلاً وَسورةَ مِقدامٍ ورأي حصيفِ

(ابن واصل الحموي، ١٤٧٦هـ، ٢/١٣٤)

وهكذا كان رثاء الإخوة من أكثر موضوعات الرثاء في العصر العباسي الأول وأروعه ندباً وبكاء وأصدقه عاطفة ولوعة؛ بل إنّ رثاء الأبناء والإخوة يستوفى أكثر الصفحات المخزونة من رثاء الأهل والأقارب في العصر العباسي الأول.

رثاء الأزواج والزوجات :

رثاء الأزواج والزوجات موضوع من موضوعات الرثاء القديمة التي عرفها الشعر العربي إلا أنها قليلة لا تبلغ رثاء الأبناء والإخوة، وبقى كذلك في العصر العباسي الأول وإن أخذ حيزاً أكبر مما كان قبل ذلك وربما يرجع السبب فى قلة رثاء الأزواج فى العصر العباسي الأول حياء النساء الشاعرات من رثاء أزواجهن بعد مماتهم، فضلاً عن قلة النساء الشاعرات عن الرجال في العصر (أبوعلي، ١٩٩٠، ٧٧). وكذلك يرجع السبب في قلة رثاء الأزواج لأزواجهن، أن رثاء الزوجة لا يصدر إلا عن زوج صادق فى حبه لزوجته وفيّ لها حتى بعد مماتها كما كان وفياً مخلصاً لها وهى معه فى الحياة؛ وعصر

كالعصر العباسي الأول يقل فيه أمثال هؤلاء الشعراء لطغيان حياة اللهو والمجون والفحش والتهتك والخلاعة خاصة بين الشعراء (أبوعلي، ١٩٩٠، ٧٥). ولعل ذلك راجع إلى أن بعض الشعراء لم يتزوجوا قط، وقضوا حياتهم ماجنين عابثين مثل: أبي نواس. والمطلع على شعر الرثاء في العصر العباسي يلاحظ أن كثيراً من شعراء العصر العابثين لم يرثوا زوجاتهم لأنهم عاشوا حياة لاهية عابثة متخذين الصواحبات والعشيقات مثل: بشار بن برد، ومطيع بن إياس، ومن سلك مسلكهم من شعراء اللهو والمجون؛ فهؤلاء الشعراء الذين ملأوا الدنيا لم يتعرضوا لرثاء زوجاتهم ولو بالقليل من الشعر (أبوعلي، ١٩٩٠، ٨١).

ومع ذلك نجد بعض شعراء العصر يرثون زوجاتهم رثاء حاراً أمثال: ديك الجن، وابن الزيات، وأبي تمام، وابن الرومي، وغيرهم من الشعراء. ومن ذلك رثاء مسلم بن الوليد لزوجته التي جزع عليها جزعاً شديداً حين ماتت وتنسك بعد موتها مدة طويلة وعزم على ملازمة ذلك، فأقسم عليه بعض إخوانه ذات مرة أن يزورهم، فأكلوا وقدموا الشراب له فامتنع عنه مسلم وأباه وأنشأ يقول (أبو الوليد، ١٨٧٥، ٧٨):

بُـــكاءٌ وكأسٌ كيـــفَ يَتفِقان سَبيلاهُما فِي القلبِ مُخْتلفان

دَعانِى وإفراطُ البُكاءِ فإننّي أرَى اليومَ فيه غَـــــير مَاتريان

فلا حُزنٌ حَتى تذرفُ العينُ مَاءها وتَعترفُ الأحشاءُ للخَفقان

وكيفَ بدفعِ اليأسِ للوجدِ بَعْدها وسَهْماهما في القلـبِ يَعتلجان

يظهر أن مسلم بن الوليد كان ينوي أن يعرض عن رثاء زوجته - على عادة الشعراء قبله - ويبدو أن زيارة إخوانه وأصحابه له أغراه برثائها وهاج أحزانه فسجلها في تلك الأبيات الرائعة. ويذكر أن أصحابه لاحظوا عليه بعد دفنها شدة ألمه واستسلامه لأحزانه، فأرادوا لأن يحملوه على الشراب حتى يتسلى بالخمر عن مصابها فرد عليهم بتلك المرثية (حسن، ١٩٤٣، ٤).

ونلاحظ أنّ أكثر المراثي في الأدب العربي هي من الرجال إلى الرجال؛ اللهم إلا مراثي الخنساء لأخويها صخر ومعاوية وأولادها الأربعة. فهي تقريباً الشاعرة الوحيدة التي تفردت بالبكاء حياتها. ورثاء الرجال للنساء في الشعر العربي قليل ولا سيما في العصر العباسي الأول، وأقل منه رثاء الرجال لزوجاتهم. ولعل ذلك محمول على ما ذكرنا سابقاً من أسباب، بالإضافة إلى أنّ الزوجة المرثية، فهي لزوجها أهل وأم أبناء، فيجد من الحرج أن يذكرها في شعره حتى ولو كان ذلك في مقام الرثاء وموضع البكاء.

رثاء الجوارى :

كثر الرقيق في العصر العباسي الأول وازداد عددهم ازدياداً واضحاً، وامتلأت القصور العباسية والأديرة والحانات بهذا الجنس من الرقيق من عبيد وإماء. إلا أن رقيق النساء كان أكثر عدداً وأعظم كثرة من رقيق الرجال وامتلأت بهن قصور الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة، وفضلهن كثير من الرجال على الحرائر من النساء لأنهن أجناس مختلفة، وتنافس الخلفاء وغيرهم من رجال الدولة على امتلاك أكبر عدد منهن وأكبوا عليهن إكباباً يسابقهم الخلفاء والوزراء حتى يروى أن الخليفة المتوكل كان يمتلك منهن أربعة آلاف جارية (المسعودي، ٢٠٠٥، ٤٠)؛ بل كانت الزوجة تهدى إلى زوجها معرضاً من الجوارى مثلما فعلت زبيدة مع الرشيد (أبوعلي، ١٩٩٠، ٨٣).

ويختلف شعر الرثاء فى الجوارى عن شعر التغزل بهن حيث يخلو من الفحش والاسفاف والابتذال، فكان يلتزم الشاعر بالمعاني الجادة البعيدة عن الهزل والإسفاف، إلا أن الشعراء قد تعرضوا لوصفهن وتصويرهن بالشمس والقمر وما إليها من التصويرات التي عُرفت في شعر الغزل، وذلك مثل قول أبي نواس يرثي جارية (أبو نواس، ١٩٩٢، ١٢٣):

أقـــــولُ لقَـــــبرٍ زُرتُه مُتلثماً سَقَى اللهُ بردَ العفوِ صَاحِبَة القبر

لقَدْ غُيبوا تَحْتَ الثّرى قمرُ الدُّجى وشمسُ الضّحى بينَ الصفائحِ والقفرِ

عَجِبتُ لعينٍ بَعدها ملت البُكا وقَلبٍ عليها يَرْتجى رَاحةَ الصّبرِ

فهذا أبو نواس الذى لم نعثر له على رثاء لابن أو ابنة أو زوجة أو أخت، يرثى جارية من الجوارى ويعبر عن حزنه وألمه لفقدها؛ بل نراه باكياً مكثراً لبكائها ولا يعرف الصبر قلبه لفراقها. وأبو نواس يدعو الله لجاريته بأن يعفو عنها ويغفر لها، وهو في ذلك متأثر بالروح الإسلامية، إلا أنه قد شبهها بقمر الدجى وشمس الضحى حسناً وجمالاً.

ويقول أبو تمام يرثى جارية له توفيت (أبوتمام، ١٩٠٥، ٢١٣):

ألم ترنى خليت نفْسى وشانها ولم أحفل الدنيا ولاحدثاً فيها ؟

لقد خوفتنى النائبات صروفها وكيف على نار الليالي معرس؟

وهل يستعيض المرء من خمس كفه ولو صاغ من حر اللجين نباتها

فأبو تمام حزين متألم لفقد جاريته، فهو لم يعبأ بالدنيا وبم يعد لها طعم عنده بعد فراق جاريته التي تركته، ويعلن أنه سيظل حزيناً عليها باكياً على أيامها الماضية. والشاعر عاطفته بفلسفة الطبيعة، فالشئ الذي فُقد لا يمكن أن يعوضه شئ آخر.

ومن الشعراء الذين رثوا جواريهم الشاعر عبد السلام بن رغبان "ديك الجن" الذى رثى جارية له اسمها "دنيا" فقال يرثيها:

يا مُهجة جثمَ الحمامُ عليها وجـــــنى لها ثمر الرّدى بيديها

رويت مِن دمها التراب وربما روى الهَوى شفتى مـــن شفتيها

حكمت سيفي في مجالِ خناقها ومدامعِي تَجـــــري على خديها

(ابن خلكان، ١٩٧٢، ٣/١٨٦)

فقد كان يهوي جاريته "دنيا" إلا أنه اتهمها بغلامه "وصيف" وقيل: إنه اتهمها بأخيه فقتلها ثم ندم على ذلك (ابن رشيق، ١٩٧٢، ٢/١٤٩)، وطفق يرثيها وكله حزن وأسى لفراقها.

المبحث الثاني: الرثاء السياسي في العصر العباسي الأول

يقصد بالرثاء السياسي، هذا اللون من الرثاء الذى يتناول الشخصيات الحاكمة في الدولة من: خلفاء ووزراء وقواد وولاة وغيرهم من كبار رجال الدولة بالبكاء عليهم وتأبينهم والعزاء فيهم، فضلاً عن رثاء الأئمة من آل البيت النبوى وشيعتهم وندبهم والتفجع عليهم في شعر رثائي تفوح منه رائحة السياسة؛ بل والعقيدة السياسية التي آمن بها الشاعر وأهدافه وآراءه السياسية التي اعتقدها (أبوعلي، ١٩٩٠، ١٤٤).

فالرثاء السياسي من موضوعات الرثاء التي انتشرت في العصر العباسي الأول، ونظم بدوافع سياسية أو دعى إليه منصب سياسى أو كان المرثى من رجال السياسة والحكم فلولا وجوده في هذا المنصب مارثاه الشعراء وبكوا عليه. ويشمل هذا اللون من الرثاء في العصر العباسي الأول:

رثاء الخلفاء :

قامت الدولة العباسية عام ١٣٢ هـ بعد الثورة على الأمويين بقيادة أبي مسلم الخراساني وعلى أكتاف الفرس وغيرهم، واستأثر العباسيون بالحكم والخلافة، وأعتلى أول الخلفاء العباسيين أبو العباس السفاح كرسى الخلافة العباسية وأصبح خليفة المسلمين الأول في دولة بني العباسي، إلا أنه لم يستمر في الحكم طويلاً فقد توفى عام ١٣٦ هـ فأخذ الشعراء يرثونه ويبكون عليه متفجعين معددين مناقبه وفضائله ذاكرين مثله وصفاته مظهرين ما امتاز به عصره من الأعمال الجليلة واصفين مصيبتهم فيه، ومن هذا القبيل قول الشاعر أبي دلامة يرثيه (أبو دلامة، ٢٠٠٥، ٦٧):

أمْسَيتَ بالأيثارِ يا بنَ محمدٍ لمْ تستَطعْ عَن عقرها تَحويلا

وَيلي عَليك وويلُ أهْلِ كُلّهم وَيلاً وعَولاً فِي الحياةِ طَويلاً

فَلتبْكينّ لـــــكَ النّساءُ بعبرةٍ ولَتبكينّ لكَ الرجالُ عَويلا

مَاتَ النّدى إذ متَّ يابن محمدٍ فجعلتُه لكَ فى التراب عَديلا

إني سَألتُ النّاسَ بعدك كُلهم فوجدتُ أسمحَ مَن وجدتُ بَخيلا

نجد أبا دلامة يرثى خليفته ويبكي عليه بكاء حاراً، ويندبه ندباً رائعاً وكله مشاعر صادقة وفيه تجاه الخليفة يبكي عليه ويستبكى عليه كذلك، ويصور عظم مصببته وهول فجيعته فى الخليفة الذي مات ومات معه الندى والجود، فلم يعد هناك بعده من يسأله فيعطيه ولم يعد هناك بعده من هو أجود منه وأسمح، فالشاعر صادق في رثائه خليفته معبراً عن مشاعره بكل الصدق والوفاء والولاء له .

فقد أكثر الشعراء العباسيون في شعر رثاء الخلفاء والوزراء، حيث أبنوهم بمرثيات تعد من روائع الشعر العربي، أتوا فيها على ذكر أعمالهم الحميدة وبطولاتهم الفذة ومحنة الأمة في فقدانهم، من ذلك رثاء الخليفة "المهدي" الذي بكوا عليه وأبنوه وعزوا خلفه فيه، ومن ذلك قول الشاعر مروان بن أبي حفصة، يعزى الهادي بوفاة المهدى (ابن أبي حفصة، ١٩٠٠، ٥٦):

لقد أصبحت تختال في كل بلدة بقـــبر أمير المؤمنين المقابر

أتته التي ابتزت سليمان ملكه وألوت بذى القرنين منها الدوائر

أتته فغالته المنايا وعدله ومعروفه فى الشرق والغرب ظاهر

ولو كان تجريد السيوف يردها ثنت حدها عنه السيوف البواتر

في هذه الأبيات يرثى الشاعر مروان بن أبي حفصة، الخليفة رثاء هو أقرب إلى المدح منه إلى الرثاء، ولولا مافي الأبيات من ذكر للموت والقبر والبكاء لكانت القصيدة مدحة خالصة، وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطاً بالتلهف والأسف والاستعظام إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيرا، والأبيات خالية من التفجع والحسرة والأسف بل تراها ذكراً لفضائل الميت وفخراً به حتى بعد موته؛ بل إن القبور فى كل البلاد افتخر بقدر الخليفة الميت، فالقصيدة أقرب إلى المدح منه إلى الرثاء (ابن رشيق، ١٩٧٢، ١٤٧).

كذلك نجد في دواوين شعراء العصر العباسي الأول، رثاء الخليفة "المعتضد" ، وهو من الخلفاء الذين بكوا عليهم ورثوهم رثاء حاراً، من أمثال الشاعر أبي العباس الناشيء، حيث يقول يرثيه:

قالت شريرة ما لجفنك ساهراً قلقاً وقد هدأت عـــيون النوم

ماقد رأيت من الزمان أجل بي هذا وتحت الصدر مالم تعلمى

يا نفسى صبراً للزمان وريبه فهو الملى بما كرهت فسلمى

إن الذي حاز الفضائل كلها هو ذاك في قعر الضريح المظلم

(الحصري القيرواني، ٢٠١٨، ٢/٧٧٢)

رثاء كبار القواد:

من قواد الدولة العباسية العظماء الذين بكاهم الشعراء وأعولوا عليهم وأكثروا عويلهم "حميد الطوسى" أحد عظماء القواد الذين عرفتهم الدولة العباسية وكانت له يد طولى فى الدفاع عن الدولة وتأمينها وسلاح ممدود على كل الخارجين عليها والطامعين فيها ولما مات رثاه الشعراء رثاء حاراً وأبنوه تأبيناً رائعاً، آخذين فى تعديد فضائله ومناقبه وماقام به من بطولات وأمجاد سواء في ساحات المعارك أم على صعيد الحياة السياسية والاجتماعية للدولة العباسية، ومن أروع مارثى به قصيدة الشاعر على بن جبلة الملقب "بالعكوك"، وهى مرثية وحيدة في شعره الذي وصل إلينا حيث يقول فيها راثياً حميداً الطوسي (ابن جبلة، ١٩٧١، ٦٥):

أللدهر تبكى أم على الدهر تجزع وما صا حب الأيام إلا مفجع

ولو سهلت عنك الأسى كان في الأسى عزاء معز للبيب ومقنع

أصبنا بيوم فى حميد لوأنه أصاب عروش الدهر ظلت تضعضع

ومن أمثلة المراثي التي قيلت في محمد بن حميد الطوسي قائد جيش المأمون، مرثية أبي تمام التي رثى يقول فيها (أبو تمام، ١٩٠٥، ٢٣٤) :

أصم بك الناعي وإن كان أسمعا وأصبح معنى الجود بعدك بلقعا

فتى كلما ارتاد الشجاع من الرّدى مفرا غداة المأزق إرتاد مصرعا

فإن ترم عن عمر تدانى به المدى فخانك حتى لم يجد فيه منزعا

فما كنت إلا السيف لاقى ضريبة فقطـــــــعها ثـــــــم انثنى فتقطعا

ومن بين قواد الدولة العباسية، عبد الله بن طاهر الحسين والي المامون على خراسان وعلى مصر أيضاً، وقد رثاه شعراء العصر العباسي الأول مشيدين بأمجاده، مبرزين خلاله الحميدة وسماته العربية الأصيلة، ومن ذلك قول ابن الجهم، يرثيه في مجلس حافل بالمعزين (ابن الجهم، ١٩٨٠، ١٢٠):

أيُّ ركن وهي من الإسلام أيّ يوم أخنى على الأيام

جل رزء الأمير عن كل رزء أدركته خواطر الأوهام

سلبتنا الأيام ظلاً ظليلاً وأباحت حمى عزيز المرام

ورثى عبد الله بن أيوب التيمي، البطل "منصور بن زياد" الذي قضى على ثورة بالقيروان لعهد الرشيد، فقال في مرثيته:

أمّا القبورُ فإنّهنّ أوانسٌ بجوارِ قَبرك والدّيار قُبورُ

والنّاسُ مأتمهم عَليه واحدٌ فِي كلّ دارٍ رَنّة وزفِيرُ

عَجباً لأربعِ أذرعٍ فِي خَمسةٍ فِي جَوفها جبلٌ أشمّ كبيرُ

(ابن واصل، ١٩٥٥، ١٣٢)

ويقول الشاعر منصور النميري، في رثاء يزيد بن مزيد الذي فتك بخوارج الموصل :

وإن تك أفنَته اللّيالي وأوشَكتْ فإنّ لَه ذكراً سَيفني اللّيالي

(ابن واصل، ١٩٥٥، ١٣٣)

وواضح ما في هذه الأشعار من دقة التفكير وبعد الخيال، ولا عجب إذ كانوا يتنافسون في استنباط المعاني النادرة.

المبحث الثالث: رثاء المدن والدول والحيوانات

أولاً- رثاء المدن:

ظهرت ضروب جديدة للرثاء لم تكن معروفة قبل هذا العصر، كرثاء المدن فهذا ابن الرومي، يرثي مدينة البصرة عندما أغار عليها الزنج فنهبوها وأحرقوها؛ فقال واصفاً تلك الفضائع (ابن الرومي، ٢٠٠٢، ٣/ ٢١٣):

ذادَ عَن مقتلي لذيذُ المنام شغلها عنه بالدموع السجام

أيّ نومٍ مِن بعدما حلّ بالبصرة ما حل من هنات عظام

أيّ يوم من بعدما انتهك الزنج جهارا محارم الإسلام

حتى يقول :

كم أخٍ قدْ رأى أخاه صرَيعا ترب الخدين بين صرعى كرام

كمْ أبٍ قدْ رأى عزيز بنيه وهو يعلى بصارم صمصام

كمْ فتاةٍ مصونة قدْ سبوها بارزا وجهها من غير لثام

ومن رثاء المدن أيضاً، رثاء مدينة بغداد حين نزلت بها كوارث النهب والحرق، وكان الجيش الذي أحاط ببغداد قبل مقتل الأمين رماها بالمجانيق، فاندلعت فيها النيران واحترقت بعض الأحياء، وعمّ فيها نهب الأموال وقتل الأبرياء، مما جعل الكثير من الشعراء يبكونها وقد غمرهم الحزن والأسى، من مثل قول بعضهم :

ألا ابْكِ لإحراقٍ وهَدْمِ منازِل وقَتْلٍ وإنهابِ اللُّهى والذخائِرِ

وإبراز ربّاتِ الخدورِ حواسرا خَرَجْنَ بلا خُمْرٍ ولا بمآزِرِ

كأن لم تكن بغدادُ أحسن منظراً وملهىً رأته عينُ لاهٍ وناظِرِ

(أبوعلي، ١٩٩٠، ٢٥٠)

وكثيرة هى القصائد التى قيلت فى رثاء بغداد في العصرالعباسي الأول، ويكاد يكون أطولها قصيدة أبى يعقوب الخُرَيْمى التى أوردها الطبرى فى ١٣٥بيتا، والتى يقول فيها بعد أن عدد محاسن بغداد قبل الحرب:

يا بؤس بغدادَ دار مملكةٍ دارتْ على أهلها دوائرُها

أينَ غـضَـــــارتهـا ولذتَهــا وأينَ محبورها وحـــابرها

يحـْرقُها ذا، وذاكَ يهدمُها ويشْتفِى بالنهاب شـــاطره

(الزركلي، ١٩٨٠ ٢٩٤)

أما الشاعر عمرو بن المبارك العنزي فيقول في رثاء بغداد:

مَنْ ذَا أصَـــابكِ يا بغــدادُ بِالعَينِ ألم تكُــونى زَمـاناً قُـرّة العَـــينِ

ألم يكُنْ فيكِ قومٌ كانَ مَسـكَنُهُم وكانَ قُــربـُهُم زَيْنـــاً مِنَ الزَّينِ

صَاحَ الزَمَانُ بِهِم بالبَينِ فانقَرضوا مَاذا الّذي فَجَعَتني لَوعَـةُ البَينِ

(ابن الأثير، ١٩٩٧، ٩٥)

إن الشاعر يكشف عن حزنه العميق لما أصاب بغداد (مدينة السلام) من خراب ودمار، وما لحق بأهلها من موت، وأن الأسى قد وصل به إلى حد أن الدمع ينحدر من عينيه من تلقاء نفسه.

كذلك رثى الشعراء المدينة المنورة حينما خربت وعذب أهلها على يد محمد بن الحسين بن جعفر بن موسى وأخيه على عام ٢٣١هـ، وفي رثائها يقول الفضل بن العباس العلوي:

أخربت دار هجرة المصطفى البـ ـــــر فبكى والمنبر الميمونا

وعلى المسجد الذي أسه التقـ ـوى حلاء أضحى من العابدين

وعلى طيبة التي بارك اللـــــــــــــــه عليها بخاتم المرسلينا

(المرزباني، ١٩٨٢، ٣١٥)

ومما يتصل برثاء المدن اتصالاً مباشراً رثاء القصور، وهو لون جديد من ألوان الرثاء، ظهر في العصر العباسي الأول وابتكره شعراؤه، حيث راح الشعراء يبكون القصور ويرثونها واصفين عظم المصيبة وهول الفجيعة التي أحلت بالقصور، مصورين ما حدث للقصور من خراب ودمار (أبوعلي، ١٩٩٠، ٢١٣)، ولعل أبرع شاعر من شعراء العصر العباسي الأول في رثاء القصور هو "البحتري"، ومن هذا القبيل رثاؤه لقصر الخليفة المتوكل (الجعفري) الذي قتل فيه الخليفة أمام البحتري وناله التخريب، فيقول(البحتري، ٢٠٠٩، ١٠٢٤):

مَحَلٌّ عَلى القاطولِ أخلَقَ داثِرُه وَعادَت صرُوفُ الدَهرِ جَيشاً تُغاوِرُه

كَأَنَّ الصَـــــبا توفي نُذوراً إذا انبرَت تُراوِحُهُ أذيـــــالَها وَتُباكِرُه

وَرُبَّ زَمـــانٍ ناعِـــــمٍ ثَمَّ عَهدُهُ تَـــــــرِقُّ حَواشيهِ وَيونَقُ خَصرُه

تَغَيَّرَ حُسنُ الجَعفَرِيِّ وَأَنـــــسُهُ وَقُـــــوِّضَ بادي الجَعفَرِيِّ وَحاضِرُه

وَلَم أنسَ وَحشَ القَصرِ إِذ ريعَ سِـــــربُهُ وَإِذ ذُعِرَت أطلاؤُهُ وَجَآذِرُه

وَوَحشَتُهُ حَتّى كَأَن لَـــــم يُقِم بِهِ أَنيسٌ وَلَـــــم تَحسُن لِعَينٍ مَـــناظِرُه

فالبحتري يرثي قصر "الجعفري" ويبكي على ما أصابه من خراب ودمار شمل كل جوانبه، ويصور المصيبة التي لحقت به ويصفها وصفاً ممزوجاً بالحزن والأسى، ويندب أيام المجد والبهاء التي شهدها القصر.

وهكذا برز فى العصر العباسى الأول رثاء المدن. وقد كان جديداً بكل معانى الكلمة، إذ إن علاقة الإنسان بالمدينة لم تتوطد بالشكل الذى توطدت به فى العصر العباسى، كما أن المدن الإسلامية لم تشهد قبل هذا العصر ما شهدته بعض مدن العراق من الدمار والتخريب.

ثانياً- رثاء الدول:

يعد رثاء الدول الزائلة في الأدب العربي من موضوعات الرثاء القديمة التي عرفها الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، إلا أنه كان قليلاً في الأدب العربي قبل العصر العباسي الأول، حيث لم يرد من هذا اللون إلا نماذج قليلة (أبوعلي، ١٩٩٠، ٢٥٣). وكانت الدولة الأموية موضوعاً من موضوعات رثاء الدول الزائلة في هذا العصر، حيث رثاها بعض الشعراء وصرحوا عن حزنهم وألمهم لزوالها. ومن الشعراء الذين رثوا الدولة الأموية رثاء حاراً صادق العاطفة الشاعر أبو عدي عبدالله بن عمر العبلي – أحد الشعراء المخضرمين الذين أدركوا العصرين الأموي والعباسي - يقول في قصيدته السينية التي استهلها بقوله:

تَقولُ أُمَامةٌ لمّا رَأتْ نَشوزي عنِ المَضجعِ الأمْلَس

وقلة نَومِي عَلَى مَضْجعِي لَدى هَجعةِ الأعينُ النُّعس

أبى مَا عَراكَ؟ فَقلتُ: الهُموم عَرَيْن أباكَ فلا تَبْلسي

(أبوعلي، ١٩٩٠، ٢٦٢)

وللشاعر قصيدة أخرى في رثاء الدولة الأموية، أخذ فيها يرثي الدولة وينعى إلى الدنيا زوالها، مشيداً بها وبخلفائها، قائلاً :

فبنُو أميةَ خيرُ مَن وَطئ الحَصىَ شرَفاً، وأفضلُ ساسةٍ أُمَراؤها

ومن أهم الشعراء الذين رثوا الدولة الأموية الزائلة وبكوها بكاء حاراً، وأذرفوا الدمع عليها أنهاراً، الشاعر المخضرم أبو العباس الأعمى السائب بن فروخ، وكان بطبعه يميل ميلاً شديداً إلى الأمويين، وفي شعره كثير من المدح للأمويين ودولتهم، ومما قاله في رثاء الدولة الأموية:

لَيتَ شِعري أفاحَ رائِحَةُ المِســ ـكِ وَما إِن إِخالُ بِالخَيفِ أُنسي

حِـــــين غابَت بَنو أُمَيَّةَ عَنّه وَالبَهاليلُ مِــن بَني عَبدِ شَمسِ

حُـــلَماءٌ إِذا الحُلومُ اِستُخِفَّت ووُجوهٍ مِثـــــلِ الدَنانيـــرِ مُلسِ

(أبوعلي، ١٩٩٠، ٢٥٦)

فالشاعر يرثي الدولة الأموية ويبكي بكاء دامعاً على خلفائها، معدداً صفاتهم وفضائلهم ، فهم البهاليل من بني شمس وهم خطباء بلغاء وفرسان فصحاء.

ومن رثاء الدول الزائلة في الشعر العباسي، قصيدة البحتري التي رثى فيها دولة الفرس وبكى حضارتها المندثرة، حيث يقول (البحتري، ٢٠٠٩، ١٠٤٥):

حَضرَت رَحليَ الهُمومُ فَوَجَّهـ تُ إِلى أَبيَضَ المَدائِنِ عَنسي
أَتَسَلّى عَـــنِ الحُظوظِ وَآسى لِمَحَلٍّ مِن آلِ ساسانَ دَرسِ
أَذكَرتِنيهُمُ الخُطوبُ التَوالي وَلَقَد تُذكِرُ الخُطوبُ وَتُنسي

إلى أن قال:

وَمَساعٍ لَولا المُحاباةُ مِنّي لَم تُطِقها مَسعاةُ عَنسٍ وَعَبسِ
نَقَلَ الدَهرُ عَهدَهُنَّ عَنِ الجِدَّةِ حَتّى رَجَعنَ أَنضاءَ لُبسِ

إلى أن يقول:

فَكَأَنّي أَرى المَراتِبَ وَالقَو مَ إِذا ما بَلَغتُ آخِرَ حِسيّ
وَكَأَنَّ القِيانَ وَسطَ المَقاصيـ رِ يُرَجِّعنَ بَينَ حُوٍ وَلُعسِ
وَكَأَنَّ اللِقاءَ أَوَّلَ مِن أَمــسِ وَوَشكَ الفِراقِ أَوَّلَ أَمسِ

حتى آخر القصيدة.

فالبحتري يرثي دولة الفرس الزائلة، ويعلن عن حزنه لما حل بها. فبكاء البحتري لدولة الفرس من الواضح أنه لا ينم عن مذهب شعوبي عنده، فهو عربي أصيل في عروبته كما هو معروف – وكما صرح هو نفسه في القصيدة ذاتها – إنما يرثي دولة الفرس وفاء لما قدمه الفرس لأهله من مساعدة في حربهم ضد الجيش الذي غزا اليمن قديماً (أبوعلي، ١٩٩٠، ٢٤٦) .

وهكذا عرف الشعر العباسي فن رثاء الدول الزائلة وأجاد فيه، وإن لم يبلغ مبلغ رثاء الدول والممالك الإسلامية الزائلة في العصر الأندلسي، حيث فاق الأندلسيون في هذا اللون من الرثاء كماً وكيفاً. فضلاً عن أن الرثاء في العصر الأندلسي أكثر روعة وأشجى حزناً وأصدق عاطفة؛ وهذا أمر طبيعي فقد فقد الأندلسيون ممالك ودول إسلامية، وأندثرت معالم الإسلام وأصبحت دول صليبية بعد أن كانت دول يرفع من فوق مآذنها نداء الإسلام، فمثلاً نونية أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس، لها مكانة خاصة

في التاريخ نظراً لما تحمله من معنى ومشاعر ودور سياسي في فترة تاريخية حاسمة، كما أنها من أشهر نماذج الشعر الأندلسي في رثاء المدن:

لكل شيءٍ إذا ما تم نقصانُ فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسانُ

هي الأيامُ كما شاهدتها دُولٌ مَن سرَّهُ زَمنٌ ساءَتهُ أزمانُ

(رزيق، ٢٠١٢، ٩٣)

ثالثاً- رثاء الحيوانات والطيور:

يعد رثاء الحيوانات من موضوعات الرثاء التي وجدت واستحدثت في العصر العباسي الأول، فلم تكن معروفة من قبل (أبوعلي، ١٩٩٠، ٢٣١)؛ فهو ضرب من الرثاء مبتكر حيث ارتبطت العاطفة بين الشعراء والحيوان حينما بلغت الحضارة وحياة الترف مبلغاً عظيماً. ومن مراثي الحيوانات رثاء أبي نواس لكلب صيد لسعته حية فمات فقال يرثيه بقوله(أبو نواس، ١٩٩٢، ١٧٣):

يا بُؤسَ كَلبي سَيِّدِ الكِلابِ قَد كانَ أعناني عَـــنِ العُقابِ

وَكانَ قَد أجزى عَنِ القَصّابِ وَعَن شِراءِ الجَلَبِ الجَلّابِ

يا عَينُ جودي لي عَلى حَلاّبِ مَن لِلظِباءِ العُفرِ وَالذِئابِ

يَختَطِفُ القُطّانَ في الرَوابي كَالبرَقِ بَينَ النَجمِ وَالسَحابِ

خَرَجـــتُ وَالدُنيا إِلى تَبابِ بِهِ وَكـــانَ عِـــدَّتي وَنَـــابي

في الأبيات يرثي أبو نواس كلبه ويبكي عليه، ويعدد فضائله وما كان يتصف من صفات عظيمة بين أمثاله وأضرابه من كلاب الصيد، فقد كان أعظم الكلاب وسيدها، ويغني صاحبه عن أدوات الصيد الأخرى.

وقد رثى ابن الزيات فرساً له أشهباً لم ير مثله فراهة وحسناً، أخذه منه الخليفة المعتصم فقال :

كَيفَ العزاءُ وقدْ مَضىَ لِسَبيلِه عنّا فودَعَنا الأحمّ الأشهبُ

منعَ الرُّقاد جَوى تضمّنه الحَشَا وهَوَى أكابده وهم منصبُ

(أبوعلي، ١٩٩٠، ٢٦٦)

ويعد الشاعر العباسي أبو محمد القاسم بن يوسف، أبرز شاعر من شعراء العصر العباسي وأكثرهم رثاء للحيوانات، وأبرز شاعر في هذا الفن الشعري، حتى إنه لرأس فيه متقدم جميع من نحاه (الصولى، ١٩٣٤، ١٧٤) فمن قوله يرثي عنزاً سوداء:

عَينُ بَكى لِعَنزنا السّوداءِ كالعروسِ الأدماء يَوم الجَلاء

ذاتَ لونٍ كالعنبرِ الوردِ قدْ علّ بِما فاقَ لونَ الطّلاء

ذات جيد ومقلتين كوحـ شية قفر من جاريات الظباء

(الصولى، ١٩٣٤، ١٦٤)

يمضي الشاعر على هذه الشاكلة يعدد فضائل العنزة وصفاتها، ويتعرض بالوصف والتصوير لكل جزء من أجزائها، إلى أن قال يبكي عليها ويرثيها:

ثُمّ لمْ يَنْجنا الحذارُ عَليْهَا إذْ دَهَانا فِيْهَا حُلولُ القَضاءِ

أصْبَحتْ فِي الثّرَى رَهينةَ رَمسٍ وَثَناها حيٌّ لَدَى الأحيَاءِ

(الصولى، ١٩٣٤، ٢٣٩)

وممن رثى الهر في العصر العباسي الأول، واشتهر ذلك عنه الشاعر الحسن بن على بن بشار، المعروف بابن العلاف النهرواني، حيث كان له هر يأنس به، فقتله جيرانه فرثاه بقصيدة منها قوله:

يا هـــرُ فَارقتنا ولمْ تَعد وكنْت عندي بمنزلِ الولد

فكيفَ ننفك عَن هَواك وقد كنتَ لنا عدة مِن العدد

تَطردُ عنا الأذى وتَحرسُنا بالغيبِ مِن حَية ومن جرد

(ابن خلكان، ١٩٤٨ ١٠٨)

ومن ضروب الرثاء الجديدة في العصر العباسي الأول أيضاً، رثاء الطيور الأليفة الصادحة مثل: القمري وغيرها، والحيوانات المستأنسة مثل: الخيل وغيرها. ومن رثاء الطير في العصر العباسي الأول، قصيدة الشاعر أحمد بن يوسف بن صبيح كاتب الخليفة المأمون، يرثي ببغاء ماتت لصديق له، وكان له أخ متخلف يقال له عبد الحميد، فقال:

أنْتَ تبقَى ونحنُ طراً فِداكا أحسَن اللهُ ذو الجَلال عَزاكا

فلقد جلّ خَطب دهراً أتانا بمقاديرَ أتلـــــفتْ بَبَغاكا

عَجباً للمنونِ كيفَ أتتها وتَخطتْ عبد الحميدِ أخَاكا

(الصولى، ١٩٣٤، ٢٢٢)

من الواضح أن الأبيات قيلت على سبيل الدعابة والمزاح، فهي تخلو من صدق العاطفة ولا تدل على معان إنسانية نبيلة. إذ كيف يحزن الأنسان لفقد طائر ويتمنى الموت لأنسان مهما بلغ هذا الإنسان من التخلف العقلي وهو الذي كرمه ربه على سائر المخلوقات! .

ومن رثاء الطيورأيضاً، قصيدة أبي محمد القاسم بن يوسف يرثي "القمري"، فيقول:

هل لامرىء من أمان من ريب هذا الزّمان

أم هل تري نـــاجيا مـــــن طوارق الحدثان

ما اثنان يجـــــتمعان إلاّ سيفـــــــترقـــــان

فالشاعر يصدر قصيدته بأبيات من الوعظ والحكم، والتي تعني أن لا أمان لامرئ من مصائب الأيام، ولا بد للجمع أن يفترق لا محالة. ثم يتناول الشاعر رثاء القمري، ويرثيه رثاء حاراً، ويعلن عن ألمه لفقده وحسرته لموته، فيقول:

كانَ المُطوّقُ خدْنا مِن أكْرمِ الأخدانِ

وصَاحباً وخلـــيلاً مِن خَالصِ الخلاّنِ

سِنينَ سَبعا وعشرا مَخفـورة بثمان

فغاله حَـــادثٌ مِن حَوادثِ الأزمـــانِ

أمْسىَ المُطوق رَمْـساً دريجة الأكـــفانِ

فالشاعر حزين لفقد الطائر، وقد كان يعده صديقه، بل خالص خلانه، وقد صاحبه أكثر من سبعة عشر عاماً.

وهكذا عرف شعر الرثاء في العصر العباسي الأول كثيراً من الموضوعات التي لم يعرفها شعر الرثاء في العصور السابقة للعصر العباسي الأول، وكانت موضوعات جديدة مبتكرة يرجع الفضل فيها إلى شعراء العصر العباسي الأول، الذين ابتدعوها في عصرهم ابتداعاً، وقد أبدعوا في رثائها وبرعوا في ذلك.

خاتمة:

الرثاء فن شعري قديم يعبرّ عن اللوعة والحسرة عند الشاعر على من يفقده . وبما أن الموت واحد والانفعال أمامه واحد، فإن قصائد الرثاء جاءت متشابهة في كل العصور الأدبية، باستثناء دخول الفلسفة عليها في العصورالمتأخرة. وقد نشط الشعراء العباسيون في فن الرثاء نشاطاً واسعاً، وظهرت ضروب كثيرة في الرثاء لم تكن معروفة قبل هذا العصر، كظهور الرثاء السياسي والمذهبي ورثاء المدن والحيوانات والطيور وغيرها. وبعد هذه الجولة مع فن الرثاء وموضوعاته في العصر العباسي الأول، توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات.

أولاً- النتائج:

١- إنّ فن الرثاء يعد من أبرز الفنون الشعرية وأكثرها صدقًا وغناء بالتجربة الإنسانية، وتصويرًا لخفي المشاعر، في الشعر العربي.
٢- إن شعراء العصر العباسي الأول في فن الرثاء ركزوا جهدهم في تعداد مآثر وصفات وشمائل المرثي ، في أسلوب فني رائع .
٣- عرف شعر الرثاء في العصر العباسي الأول كثيراً من الموضوعات التي لم يعرفها شعر الرثاء في العصور السابقة، وكانت موضوعات جديدة مبتكرة، كالرثاء السياسي ورثاء الحيوانات وغيرها من الموضوعات الجديدة المبتكرة.
٤- إن فن الرثاء في العصر العباسي الأول إزدهر وتطور، وظهرت عبقرية الشعراء في هذا اللون الشعري ظهوراً واضحاً في جميع الخصائص الفنية للقصيدة الرثائية، حتى ظهرت قصائد تعد من عيون الرثاء وروائعه في الشعر العربي .
٥- قد تميز فن الرثاء في العصر العباسي الأول بميزات وخصائص فنية واضحة، منها القديم الموروث والجديد المبتكر.
٦- أكثر الشعراء العباسيون في شعر رثاء الخلفاء والوزراء، حيث أبنوهم بمرثيات تعد من روائع الشعر العربي، أتوا فيها على ذكر أعمالهم الحميدة وبطولاتهم الفذة ومحنة الأمة في فقدانهم.
٧- إن شعر الرثاء فى الجوارى في العصر العباسي الأول، اختلف عن شعر التغزل، حيث خلا من الفحش والاسفاف والابتذال، فكان يلتزم الشاعر العباسي بالمعاني الجادة البعيدة عن الهزل والإسفاف.

ثانياً- التوصيات:

- الاهتمام بدراسة الشعر العباسي، لما فيه من جديد المعاني والموضوعات.
- دراسة فن الرثاء في العصر العباسي الثاني وما يليه، باعتباره امتداداً للأعصر العباسية .

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١. ابن واصل الحموي، أبوعبدالله محمد بن سالم (١٣٧٦هـ). تجريد الأغاني م٢، تحقيق: طه حسين وإبراهيم البياري، ط٢، دار الكتاب العربي، القاهرة.
٢. ابن الأثير، إسماعيل بن عمر (١٩٩٧). البداية والنهاية، ط١، دار هجر للطباعة، الجيزة، مصر.
٣. المرزباني، أبو عبيد الله (١٩٨٢). معجم الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٤. البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد (٢٠٠٩). الديوان ج٢، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر.
٥. ابن المعتز، أبو العباس عبدالله (١٩٦٨). طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط٢، دار المعارف، مصر.
٦. الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (١٩٣٤). الأوراق ج٢، مطبعة الصاوي، مصر.
٧. ابن عبده ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (١٩٨٣). العقد الفريد، تحقيق: د. محمود قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (١٩٧٢). وفيات الأعيان ج٣، دار صادر، بيروت.
٩. ابن برد، بشار (٢٠٠٧) ديوان بشار بن بُرد، جمع وتحقيق: الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور، وزارة الثقافة، الجزائر.
١٠. المسعودي، أبو الحسن على بن االحسين (٢٠٠٥). مروج الذهب، ط١، المكتبة العصرية، بيروت.

١١. الحصري، أبو اسحق القيرواني (٢٠١٨). زهر الآداب وثمر الألباب، ج٢، دار الجيل، بيروت.
١٢. أبو تمام، حبيب بن أوس (١٩٠٥). الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان.
١٣. أبو نواس، الحسن بن هاني (١٩٩٢). الديوان، تحقيق: عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٤. حسن، محمد عبدالغني (١٩٤٣). أنات حائرة، مجلة الرسالة، العدد ٥٢٧، أغسطس، مصر.
١٥. رزيق، بوعلام (٢٠١٢). نونية أبي البقاء الرندي الخصائص الأسلوبية، جامعة مسيلة، الجزائر.
١٦. الزركلي، خير الدين بن محمود (١٩٨٠). الأعلام ج١، دار العلم للملايين، بيروت.
١٧. أبو دلامة، زند بن الجون (٢٠٠٥). الديوان، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت، لبنان.
١٨. ابن الجهم، على (١٩٨٠). الديوان، تحقيق: خليل مردم بك، ط٢، وزارة المعارف السعودية.
١٩. ابن المعتز، عبدالله (١٩٩٨). طبقات الشعراء المحدثين، ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.
٢٠. ابن جبلة، على العكوك (١٩٧١). الديوان، دار السعادة، العراق.
٢١. ابن الرومي، على بن العباس (٢٠٠٢). الديوان ج٣، تحقيق: عبد الأمير مهنا، دار الكتب العلمية، لبنان.
٢٢. أبو على، عبدالهادي عبد النبي (١٩٩٠). اتجاهات الرثاء وتطوره في العصر العباسي الأول، ط١، الأزهر، مصر.
٢٣. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (١٩٧٧). الشعر والشعراء ج٢، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط٣، دار التراث العربي، بيروت.
٢٤. ضيف، شوقي (١٩٥٥). تاريخ الشعر العربي العصر العباسي الأول، ط١، دار المعارف، مصر.
٢٥. ابن رشيق القيرواني (١٩٧٢). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ج٢، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل، بيروت.
٢٦. ابن الوليد، مسلم الأنصاري (١٨٧٥). الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان.
٢٧. ابن أبي حفصة، مروان (١٩٠٠). الديوان، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٢٨. ابن وصل الحموي، محمد بن سالم (١٩٥٥). تجريد الأغاني ج٢، تحقيق: طه حسين وإبراهيم الأبياري، مطبعة مصر.